# غدا تمطر السماء

قصة بقلم أحمد الشاعر

ـ هل صدر الحكم في قضيه ولدك المرحوم ؟

ـ لقد صدر الحكم .. ( واغمض عينيه فى لوعة عميقة )

ـ وكم دفعوا لك ؟

ـ لا شيء ..

ـ ماذا تقصد ؟

ـ القصد لا شيء ... ( وتدحرجت دمعة )

ـ كفر . هل حكم ببراءة السائق ؟

ـ لقد ادين السائق بثلاثة الاف ليرة . ولكن هل تعيد لي ولدي ؟! وهل هي ثمنه ؟

ـ استغفر الله . لا اعني هذا ، ولكنها ... ، رحمه الله .

وافترق العاملان ، وسار أبو فريد في طريقه ليتوسل الى ابي محمد « الخضرجي » كي يعطيه كيلوغراما من الفاصولياء ليطعم عائلته . وهو يعلم جواب أبي محمد ، فما زال في ذمته عشرون ليرة منذ ثلاثة اشهر، وفي كل مرة يعده بانه سيدفع له المبلغ بكامله عندما يفتح الله عليه بعمل.

ولكن الأشهر مضت ، وتمضي ، ولم يفتح الله امامه بابا او كوة ضيقة . سيقول له أبو محمد ألا تعرف القراءة ؟ ألم تقرأ هذه اللوحة ؟ يا أخي : الدين ممنوع .

هذه اللوحة اللعينة المذهبة التي يشير اليها ابو محمد في كل مرة، ويطلب منه قراءتها ، انه يكرهها من قلبه ، ويتمنى ان يأتي اليوم الذي لا يراها فيه . ولكن هل هي السبب ؟ ان هذا التاجر الخبيث لا يتقيد بشيء . فهل تمنعه لوحة كهذه من اعطائه ما يطلب ؟

ودخل الدكان . فوجد صاحبه كعادته دائما مشغولا بالبيع . فالقى التحية : السلام عليكم . ويرد أبو محمد ، رافعا رأسه ، بصوت عال :

وعليكم السلام .. ولكنه لم يتمم الجملة ، وانما عاد ليخفض رأسه ويتابع عمله .

ترى لم لم يرد التحية ؟ هل يظهر عليه أنه مفلس ! والتفت الى يساره ليرى نفسه في المرآة :

ـ ما هذا الشكل المقرف بلحيته الكثة ، وشعره الطويل المنفوش ، ووجهه المتعب الاصفر ؟ وادار وجهه عن المرآة ، وقد عرف السبب.

وانتظر حتى ينتهي أبو محمد من بيع زبائنه . وانتظر طويلا لانه يخجل ان يطلب شيئا بوجود الزبائن . فهو واثق انه سيرفض طلبه.

وعندما خلا المكان من المشترين ، رفع ابو محمد رأسه ، فوجده مستندا الى الجدار ، وهو ينظر اليه بمذلة . فساله :

ـ أين العشرون ليرة . ألم يفتح الله عليك بعمل ؟

ـ يا أبا محمد ..

ـ يا أبا محمد . يا أبا بطيخ . لا يفيدني ذلك شيئا . اريد العشرين ليرة سواء فتح عليك ام لم يفتح .

ـ انتظرني قليلا . وساسدد لك حتى اخر قرش .

ـ الى متى انتظر . حتى يوم القيامة ؟ خذ جارك مثلا ، لقد سدد ديونه . وساعطيه كل ما يحتاجه .

ـ لقد دفع من دم ابنه المرحوم .

ـ من دم ابنه ، من دم زوجته ، المهم انه دفع .

وخرج أبو فريد من الدكان ، وكلمات أبي محمد تطرق اذنيه بخشونة:

ـ لا تنس انني اريد النقود بسرعة .. والا ..

وسار في الشارع وهو يترنح ، فقد استحالت ساقاه الى الياف لينة ، وضاق صدره حتى كاد يختنق ، وفكر في جيش الصغار الذين سيلاقونه مفتشين عما يحمل في جيوبه .

ما أصعب لقاءهم ! ان لقاء جيش كامل السلاح أهون عليه من لقاء طفل واحد من اطفاله حينما يسأله عما احضر له .

لماذا تزوج ما دام لا يستطيع أن يؤمن اللقمة لصغاره ؟ ولماذا انجب هذا العدد الضخم من الجياع دائما ؟ هل طلب اليه زيادة سكان العالم ؟ ولماذا اختاره الله لاداء هذه المهمة الشاقة ؟ وتصور انه لو انجب كل متزوج توأما كل احد عشر شهرا لاضطر سكان الارض للنوم وقوفا ؟

لقد أدخل في رأسه منذ صغره أن كل طفل يولد يحمل رزقه معه. هل توجد مناجم ذهب في بطون النساء ؟ انه لا يعلم شيئا عن بقية النساء . ولكنه يعلم جيدا أن بطن زوجته لا يشحن الا التوائم.

ترى كم نحن مفلسون ؟! هذا يحتاج الى عقل خارق الذكاء لحسابه.

ما حاجته لهذه الجماهير الغفيرة في بيته ؟ الا يكفي ولد واحد او اثنان على أبعد حد ؟ والبقية المتطفلة ما فائدتها ؟ لماذا ابتلي بهذه الثروة التي لا تنضب ؟ وهل يعلم احد كم سيتضاعف هذا العدد بعد عشر سنين مثلا ! ؟

وهز رأسه بقوة حتى اوشك ان يطير من مكانه . كم مرة تعذب من افكاره هذه بلا جدوى !

وتوقف لحظة عن السير ، وأغمض عينيه :

ثلاثة الاف ليرة . هل توجد نقود حقيقية بهذا المقدار أم انها مجرد أرقام تذكر ؟

انه لن يشعر بانخفاض الكثافة في بيته المكتظ بالسكان.

وصرخ في صدره صوت أزعجه ، وقطع عليه تفكيره :

انت كافر، مشرك بالله، لا تعرف للفضيلة، ولا للقيم الانسانية معنى.

ودق على صدره برفق ، وخاطب هذا الذي يبكي على القيم :

استرح يا صديقي العزيز . ولا تتدخل في اشياء لا تعنيك ، وارجو لك نوما هنيئا ، انك دائما مثالي قذر . ثم دعني أسالك : ما ثمن هذه القيم التي تتحدث عنها ، هل تشتريها بكيلو فاصولياء ؟ خذها وانعم بها ، واعطني ما أطعم به هذه الافواه الفاغرة .

وأعجبه انه يتكلم بمنطق معقول . ويستطيع ان يجادل به أيا كان وينتصر عليه . وشعر أنه تبدل ، فاستقامت رجلاه . وانتصبت قامته. ولكنه تساءل كيف ، ومتى سيحدث هذا ؟

وتابع طريقه في الشارع المستقيم الذي يقوده الى حيه في طرف المدينة . لماذا باع ما يملكه في قريته ، ونزح الى هذه المدينة ، فاشترى هذه القطعة الصغيرة وبنى عليها غرفة مسقوفة بالطين . ليته بقي في قريته ، فقد كان بيته أوسع . وكانت ارضه تطعمه في كل فصول السنة. لقد ظن ان المدينة كنز لا يفنى ، ولكنه الان يبيع كل شيء في سبيل حصوله على طعام لاولاده .

ونظر الى غرفته الواقعة جانب الطريق . فجمد في مكانه. وانتصب شعر رأسه . ووضع يده فوق قلبه ، وصاح وهو يركض :

ليس هذا صحيحا . هل سمعت ما كنت أقوله يا رب ؟ هل استجبت لافكاري ؟ لم اطلب شيئا ؟ كنت أهذي من شدة الجوع .. لا اريد ان آكل .. ساجوع .. وساتحمل بصبر ، ودعهم لي .

وقطع المسافة في ثوان . كانت السيارة تقف الى جانب الطريق . وكان جمع من الرجال والنساء والاطفال يتحلقون حول شيء على الطريق.

وشق الجمع بقوة ، فراى بقرة جاره محمود ممددة على الارض ودماؤها تنزف بغزارة . فاستجمع انفاسه بصعوبة . وتدحرجت دموعه فمسحها وذهب الى بيته ليطمئن الى ان عدد اولاده لم ينقص احدا.

طرطوس — احمد الشاعر